١٧ والرئيسُ إذا رَحَل .. ؟!

لا شك أن القضية الأساسية والخلافية بل والمسلمة الوحيدة في كل خلافتنا السياسية تكمن في أننا جميعًا نميل إلى الاستسهال، ونبحث دائمًا عن شماعة نعلق عليها أخطائنا، والثابت الوحيد في ذلك أننا بعد ٢٥ يناير كسرنا كل المرايا، ولم نجد مرآة واحدة تظهر لنا وجهنا القبيح الذي كشفته هذه الثورة؛ فلم تسقط ثورة ٢٥ فقط مبارك ودولته، وإنما أسقطت بالأساس جبلًا من القيم والأخلاق والإنسانيات الرائعة والتي تعد أفضل ما تغنت به الشعوب عن الشعب المصري، فضاعت الأمانة بين الناس في القطاعات والميادين وحتى داخل غرف المسكن الواحد وعلى وسادة النوم، الأمانة التي كانت تحميها القيم في العصور السابقة وحماها القانون في العصر الحديث، وبعده ٢٥ يناير سقطت القيم كما سقط القانون، ففي عصر عبد الناصر كانت الأفواه مكبلة بالبوليس السري، وفي عهد مبارك كُبلت بأمن الدولة، والحوادث والاغتيالات كانت تنفذها الدولة بأجهزتها الاستخباراتية وأحيان بأيدي الجماعات المتطرفة. والآن بات الكل لا يأمن الكل، ففي الشارع ليس جهازًا واحدًا مهيئًا للخطف والقتل والسحل، وإنما أصبح كل فرد فينا مهيأ للقيام بكل ذلك من خطف وسحل وقتل، معتبرين ذلك أعلى درجات البطولة وأرقى مراحل الثورة.. ففي الميدان الواحد تعلوا الهتافات "كلنا يدًا واحدة" وفي الحقيقة يدًا واحدة هي التي تتشابك واليد الأخرى تخبئ خنجرًا خلف الظهر!!

وصارت قافلة الثورة بكل ما تحمله من معان للانحطاط والخزي والإضرار بالوطن الأسير لطموحات أبنائه الطائشين إلى الدعوة لإسقاط مرسي في ٣٠ يونيو دون مطالبات واضحة بالإصلاح وإرغامه على إصلاحها، وهنا علينا أن نتساءل هل إسقاط مرسي هو المخرج الوحيد من كبوتنا؟ وهل القيام بثورة جديدة هو الحل لاستعادة مصر وكرامتها وتحسين أحوال المهمشين وإسعاد المغبونين وإطعام الجياع، وإيقاف بناء السد الأثيوبي والثأر لجنودنا المقتولين على الحدود الإسرائيلية واستعادة المختطفين؟وهل بالثورة هذه نقمع الهمجية الليبية على الحدود المصرية ونكبح أحلام السودان بضم النوبة؟ ونوئد أحلام إسرائيل وأمريكا وربما إيران في تقسيم مصر؟ وهل برحيل مرسي سوف يفيض النيل وتزداد خصوبة الأرض، وتتحرك عجلة الإنتاج وتنتهي الفوضى؟

ورغم قناعاتي الشخصية بأن مرسي بغفوته ونظامه المنحاز وجماعته هم من تسببوا بشكل أساسي في خلق هذه الأزمة السياسية التي يمر بها الوطن، ولكن هل بإسقاط مرسي ورحيله سوف تنقشع الغمامة وتُحل الأزمة وينزل الغيث؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فهل اجتمع المصريون على تحديد ملامح النظام البديل؟ أم سوف يعودون بالوطن إلى نقطة الصفر، إلى ١١ فبراير ٢٠١١م حيث لا دولة ولا رئيس ولا سيناريو، ولا خطة عمل وفوضى عارمة في كل قطاعات الدولة؟ وإذا كانوا لم يحددوا ولم يدرسوا ويختبروا ويتفقوا جميعًا على النظام البديل، ليكون جاهزًا للإحلال فور سقوط الرئيس؛ فعلى الوطن السلام!!

فإلى متى يثور المصريون لإسقاط أشخاص برتبة حكام؟ ومتى يثوروا على أنفسهم محفزينها على التغيير؟ ومتى يثوروا على آلات الإنتاج لتتقدم الصناعة؟ فلن يكف المصريون عن الثورة إلا إذا قمنا فعلًا بثورة صناعية، تطور آلات الإنتاج وتحركها، ولن يكف المصريون عن الثورة، إلا إذا ثاروا على ضمائرهم لتطهيرها مما علق بها

من فساد مبارك وفوضى مرسي. وأن رحيل الحاكم ليس الحل كله، وإنما جزءًا يسيرًا من منظومة الحلول. فقد هاجمت اليابان أمريكا في "بيرل هايو" وتمكنت من تحطيم الأسطول البحري وإغراق القطع البحرية الثمينة وقتل قرابة ٣٠٠٠ بحار؛ فلم يلجأ الأمريكان إلى المعايرة، ولم يشمتوا في رئيسهم المهزوم كما شمت الإسلاميون في عبد الناصر إبان نكسة ٥ يونيو، ولم يطالبوا بعزل الرئيس روزفلت وإسقاط نظامه؛ وإنما أدركوا أن أمريكا في خطر ولا سبيل للنصر إلا بالاتحاد والتلاحم، ففعلوا وانتصروا. وإذا كان ذلك هو حال الشعوب المتحفزة للتقدم، فمتى نصبح نحن مثلهم؟

ومتى يعلم الرئيس وتعلم المعارضة أن الوطن فوق الجميع، وأن النهضة مسئولية جماعية وليست حكرًا على فصيل بعينه، وأن دماء الضحايا مقدمة على كرسي الرئيس، ورغم تأييدي للحركات الاحتجاجية العديدة التي تقف في وجه مرسي ونظامه السخيف،، إلا أنني لا أرى أن في رحيل مرسي يكمن الحل.. فربما تحدث الكارثة الكبرى، ويسقط ما تبقى من الوطن.. وهنا أطالب الرئيس وجماعته بالابتعاد عن التهديد والتعامل مع الموقف بدهاء والعمل على امتصاص الغضب الشعبي، وعلى الرئيس أن يهيئ مصر لا لفترة رئاسية جديدة كما تحلم جماعته، وإنما لرئيس جديد ونظام بديل قادر على تجاوز الأزمة وقيادة الوطن إلى عصر النهضة.

□ □ □ □